

المحاضرة: الثانية (02)  
تربية إسلامية (السداسي الثاني)

الإيمان بالكتب السماوية المنزلة 2

5. الحكمة من إنزال الكتب:

لماذا أنزل الله الكتب السماوية؟ وما الحكمة من وجودها؟

1.5. رحمة الله بعباده: والعناية بهم، حيث أنزل لكل قوم كتاباً على رسولهم ليهديهم به. قال -تعالى-: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 38]، وشرع لكل قوم ما يناسب أحوالهم. كما قال الله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾ [المائدة: 48].

2.5. إقامة الحجّة على الخلق: قال ابن قدامة المقدسي: "نعلم أن الله علينا الحجّة بإنزال الكتب وبعثة الرسل"؛ قال ذلك معلقاً على قوله -تعالى-: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 165]. والآية تدلّ على هذه الحكمة، وإن لم تُذكر الكتب صراحةً، لأنه لا معنى لإرسال الرسل إلا بما أرسلوا به من الوحي في الكتب.

3.5. تأييد الرسل وإظهار صدقهم: أي لبيان صدق الرسل والأنبياء في دعواهم المتعلقة بالبعثة والاصطفاء، قال -تعالى-: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [آل عمران: 184].

4.5. الحكم بين الناس حين الاختلاف: فكلّ ما اشتملت عليه الكتب السماوية هي فصلٌ عند التنازع والاختلاف، لأنها أخبار صادقة، وأوامر عادلة، فهي حق، تفصل بين المختلفين في مسائل الأصول والفروع. قال -تعالى-: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: 213].

5.5. هداية الناس وإرشادهم: أنزل الله تعالى الكتب السماوية، لتكون منارةً للعلم ومنبعاً للحكمة، يقصده الناس فيجدوا فيه كلّ ما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم، ودينهم ودنياهم، ولئن كان مثل ذلك متحققاً بمجرد إرسال الرسل، إلا أن ظهوره في الكتب أشدّ وضوحاً، لأن الكتب السماوية الأصل فيها البقاء بعد موت الأنبياء والرسل الذين أتوا بها. قال أحمد شوقي:

جاء النبيون بالآياتِ فإنصرمتُ ... وجئتنا بحكيم غير منصرم  
آياته كلما طال المدى جُدُّ ... زينهنّ جلال العتيق والقدم  
يكاد في لفظه منه مشرفة ... يوصيك بالحقّ والتقوى وبالرحم

## 6. مفهوم القرآن الكريم:

إن الكتب السابقة للقرآن نحترمها بأصلها، لكن حينما حُرِّفَتْ وُيُدِّلَتْ، نسخها الله - عز وجل - وجعل القرآن هو المهيمن والناسخ لها، والقرآن هو أفضلها وأشملها وما قبله طراً عليه التحريف، ولذلك يجب اتباعه دون ما سبقه من الكتب.

القرآن مصدر قرأ، مرادف للقراءة. عرفه الأصوليون والفقهاء وأهل العربية: اصطلاحاً بأنه: "كلام الله المنزل على نبيه محمد - ﷺ - المعجز بلفظه، المتعبد بتلاوته المنقول بالتواتر، المكتوب في المصحف، من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس؛ أنزله الله ليكون دستوراً للأمة، وهداية للخلق، وآية على صدق الرسول - ﷺ -".

وعرفه النبي - ﷺ - بقوله: ((كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأٌ مَّا قَبْلَكُمْ وَخَبْرٌ مَّا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمٌ مَّا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الْفَضْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، هُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا يَخْلُقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ، هُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهِ الْجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ حَتَّى قَالُوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا 1 يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ [الجن: 1-2]، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمَلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)).

## 7. مميزات القرآن وخصائصه:

### من خصائص القرآن الكريم

القرآن كلام الله، المتعبد بتلاوته في الصلاة وغيرها، الصلاة لا تصح إلا بقراءة القرآن، سليم من التحريف والتبديل، سليم من التناقض، يسير للحفظ، معجز لا يقدر أحد أن يأتي بمثله أو بعضه، تنزل السكينة والرحمة على قارئ القرآن، وهو شفاء للأبدان وللأمراض النفسية والشيطانية كالمس والسحر، القرآن يشفع لصاحبه ولوالديه، القرآن مهيمن على الكتب التي قبله، القرآن الكريم صادق في أخباره، عدل في أحكامه.

القصة في القرآن حقيقة لا خيال، الجمع بين مطلب الدنيا والآخرة، فيه كل ما يحتاجه البشر من عقائد وعبادات وأحكام ومعاملات وأخلاق وسياسة واقتصاد وغير ذلك من أمور الحياة اللازمة للمجتمع، له تأثير قوي على النفوس من الإنس والجن. قال الوليد بن المغيرة: "فوالله ما هو بشعر ولا بسحر ولا بهذي من الجنون؛ وإن قوله من كلام الله، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه ليعلو

وما يُعلَى عليه"، الخيرية لمن تعلم وعلم القرآن، القرآن هداية وبشارة، القرآن يسكن القلوب ويطمئنها ويسعدها، والقرآن يدعو إلى التوحيد، وهو مصدر الشريعة الإسلامية الأول، وجوب الاستماع والإنصات إليه إذا قرئ.

### 8. فضل القرآن على سائر الكتب:

جعل الله -عز وجل- القرآن هو المهيمن والناسخ للكتب السابقة، وجعله أفضلها وأشملها وما قبله طراً عليه التحريف، ولذلك يجب اتباعه دون ما سبقه من الكتب، وإن اشتملت هذه الكتب على الحق إلا أن الحق الذي فيها جاء وافياً في كتاب ربنا وسنة -ﷺ-، ونظراً لأنه اختلط الحق فيها بالباطل فإن الرجوع إليها يلتبس على المسلم، ولذلك نهى النبي -ﷺ- نهياً جازماً قاطعاً حازماً عن أن نجعل هذه الكتب مرجعاً نرجع إليه في ديننا أو في مصالحنا.

غضب الرسول -ﷺ- حين رأى مع عمر بن الخطاب صحيفة فيها شيء من التوراة، قائلاً: "أمتهوكون (متسرعون ومتحيرون) فيها يا ابن الخطاب؟". وأكد النبي أن شريعة الإسلام بيضاء نقية، وأن دينه شامل لا يحتاج لمصدر آخر، مشيراً إلى أن لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعه. وبعد هذه الحادثة، امتثل عمر رضي الله عنه تماماً، وأصبح يعاقب من ينسخ كتب أهل الكتاب.